



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

رت م د: 4040-1112، رت م د إ: X204-2588

المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 492-519 تاريخ النشر: 05-08-2020

الصراع المعرفي وتجلياته بين ابن نبي والغرب كتاب الظاهرة القرآنية أمودجا

Cognitive conflict and its manifestations between the
Prophet and the West The book phenomenon
Quranic mode

الطالب. بولعراش منصور
ahmedayoub65@yahoo.com

أ. د. رابع دوج

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

تاريخ القبول: 2019-11-27

تاريخ الإرسال: 2019-11-24

الملخص:

لقد حاول مالك بن نبي من خلال كتابه الظاهرة القرآنية أن يبرز الظاهرة حدثا يحصل لأول مرة في تاريخ العرب، بوصفها أمة غير كتابية، وظاهرة خالدة في تاريخ البشرية تعد معجزة ولا يزال التحدي قائماً بها، وهذا هو الصراع القائم بينه وبين الغرب، متخذ المعرفة أداة لتحقيق القطيعة ومن ثم النهاية العدمية مع الخلفيات الموروثة إذا كانت غير علمية ولا موضوعية، وإما أن تعيد - المعرفة - توظيفها على نحو معاصر مرتبط دوماً ببناء مشروع حضاري. كما لا يغفل عن التباين الواقع بينه وبين المستشرقين سواء كانت نتائجه جلية واضحة في حينها أو خفية تظهر بعد مدة. محاولاً إحياء الكلمة " أقرأ " تلك الفكرة التي صنعت الحضارة الإسلامية والتي تبقى طفرة في تاريخ نشوء الحضارات.



الكلمات المفتاحية: الصراع المعرفي بين ابن نبي والغرب

Abstract:

Through his book *The Phenomenon of the Qur'an*, Malik Ibn Nabi has attempted to highlight the phenomenon for the first time in the history of the Arabs, as a non-biblical nation. To achieve a break and then end nihilism with the inherited backgrounds if it is not scientific or objective, or either re - knowledge - employment in a contemporary way is always linked to the construction of a civilized project. It also does not overlook the discrepancy between him and the Orientalists, whether the results are clear and timely or hidden appear after a while. Trying to revive the word "read" that idea that made Islamic civilization, which remains a breakthrough in the history of the emergence of civilizations

Keywords: The cognitive conflict between the Prophet's son and the West.

المقدمة:

يعد المفكرون الجزائريون من رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين، الذين استشعروا ووعوا منذ البداية جدية التحديات الآتية من الغرب ونموذجه الحضاري وخطورتها، وانكبوا على معاشتها وإدراكها من أجل استيعابها لبلورة موقف واعٍ وبنّاء... ومن بين هؤلاء: مالك بن نبي. والذي سوف يكون موضوع هذه الدراسة بعنوان: الصراع المعرفي وتجلياته بين ابن نبي والغرب كتاب الظاهرة القرآنية أنموذجاً. وقد جاءت فكرة الموضوع لتناقش هذه المطارحات الفكرية في ثنايا البحث مثل: ما المقصود بالظاهرة؟ ما علاقة ابن نبي بالاستشراق؟ ما حقيقة هذا الصراع؟ هل ولوج ابن



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دوب

نبي في هذه الدراسة يعد إضافة أم تطفلا على غير مجاله؟ ما مفهوم الوحي لديه؟ ما حقيقة الأبعاد النفسية للحركة النبوية في كتابه الظاهرة؟ ما حقيقة الإعجاز القرآني؟ كل هذه التساؤلات سوف نجد لها الإجابة من خلال كتابه المقصود بالدراسة، لأن تناول فكر ابن نبي بصفة عامة من خلال جميع مؤلفاته ومحاضراته لا يمكن أن تسعه هذه الورقة. وقد تم تناول الموضوع وفق العناصر الآتية:

- 1 - التعريف بمصطلحات البحث.
- 2 - مالك بن نبي وكتاب الظاهرة القرآنية.
- التعريف بمالك بن نبي ومؤلفاته.
- التكوين العلمي والثقافي المزدوج لمالك.
- 3- الجذور التاريخية للأزمة من منظور مالك.
- 4- الهدف من تأليف كتاب الظاهرة.
- 5 - شهادات حول كتاب الظاهرة القرآنية.
- 6 - منهج ابن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية.
- 7- الوحي (جبريل عليه السلام، القرآن الكريم)
- 8- الحركة النبوية (أرمياء عليه السلام، النبي صلى الله عليه وسلم)
- 9- الاستشراق (صراع، توافق)
- 10- الإعجاز القرآني.
- 11- التغيير الذي يريده مالك بن نبي.

الخاتمة



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دواب

1- التعريف بمصطلحات البحث

بداية لابد من تعريف وتوضيح لبعض مفردات عنوان الدراسة لأن: المفاهيم ليست إلا اللبنة التي منها تؤسس المنهجية ومن ثم فما من عمل منهجي إلا ويكون قوامه عملية التأصيل للمفاهيم، ... بغية الوقوف على التكافؤ بين المحصول والمقصود.¹ وسوف نقتصر على الكلمات التي تحتاج إلى تعريف وتوضيح.

أ - المعرفة:

يقول طه العلواني: إن مصادر معرفتنا هي الوحي والوجود، أما مصادر المعرفة المعاصرة فهي الوجود وحده، ولذلك فتعريف المعرفة لدى علماء التربية والمعرفة اليوم هو التعريف المعترف به لدى (اليونسكو) وسائر المؤسسات الثقافية ((المعرفة كل معلوم خضع للحس والتجربة))، ... أما الرأي الآخر: المعرفة كل معلوم دل عليه الوحي والحس والتجربة.² والمعرفة قد تكون: تعبير يستهدف الأخذ بالآفاق الواسعة لقدرات الثقافة العلمية المعاصرة وتوظيفها في إعادة اكتشاف وتحليل إشكاليات المجتمع والثقافة الإنسانية.³ فالمنطق الإبستمولوجي (أي المعرفي) العلمي المعاصر قد أستخدم في حالتين: أ - حالة تفكيك التراث في مرحلته التدوينية ورده إلى نظامه المعرفي التاريخي.

¹ - محمد أبو القاسم، منهجية القرآن المعرفية - أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي - بيروت، الطبعة الأولى 2003م، ص71.

² - ينظر: طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، دار الهادي، الطبعة الأولى 2003م، ص72 بتصرف.

³ - منهجية القرآن المعرفية - أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، ص37 .



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دواب

ب - إعادة قراءة النص القرآني المطلق باكتشاف نظامه المعرفي ومنهجيته.¹

ب - الظاهرة القرآنية:

الظاهرة كمصطلح: تعني التغير وعدم الثبات والاستقرار في كل شيء، كظاهرة انعدام الأمن، والأمراض الاجتماعية.² أمّا الظاهرة القرآنية كمصطلح مركب يقصد بها: القرآن كحدث يحصل لأول مرة في التاريخ، وبشكل أدق هي: التحلي التاريخي لخطاب شفهي في زمان ومكان محددين تماماً (الزمان هو بدايات التبشير، والبيئة الاجتماعية - الثقافية التي ظهر فيها هي الجزيرة العربية).³ وأركون عندما يذكر الزمان والمكان فهو يشير إلى تاريخية القرآن.

كان لابن نبي السبق في توليد مصطلح الظاهرة، وهذا باعتراف صاحب الترجمة الاصطلاحية أركون: كان مالك بن نبي قد استخدم قبلي مصطلح الظاهرة القرآنية ضمن منظور تبجيلي⁴ أو تقديسي ضمن كتابه نجحاً كبيراً في الأوساط الأصولية المزدهرة اليوم.¹

¹ - محمد أبو القاسم، أبستمولوجية المعرفة الكونية - إسلامية المعرفة والمنهج، دار الهادي - بيروت، الطبعة الأولى 2004م، ص 255 .

² - مكّي درار، ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، 2012م، ص 2 .

³ - محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني - كيف نفهم الإسلام اليوم؟، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة - بيروت، ص 186 بتصرف .

⁴ - يقول أركون معبراً عن التنازع المعرفي بينه وبين ابن نبي: لكن استخدامي لهذا المصطلح يتخذ معنى آخر مختلفاً بالطبع. ولهذا السبب هُوجمت، لأسباب متضادة تماماً، من قبل المسلمين التقليديين، ومن قبل المستشرقين الوضعيين في آن معاً. فالأولون يتهمونني بمعاملة القرآن كأى كتاب أو وثيقة تاريخية،



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دواب

2- مالك بن نبي و كتاب الظاهرة القرآنية

أ - التعريف بمالك بن نبي ومؤلفاته:

لو حاولت تصنيفه في خانة معينة، لأدركتك الصعوبة قبل أن تدركها، ولاستحال عليك الصدق في فعلك هذا، فهل نعهه تراثيا أم حديثا؟ وهل هو عقلي أم نصي؟ وهل نضفه فيلسوفا أم عالم اجتماع، أم مفسرا أم مؤرخا...؟ وهل هو عالم مقتصر على دوائره الإقليمية؟ أم هو عالمي النزعة والاهتمام²؟ والسبب في ذلك، أنه: لو وسمته بالأثري، لوجدت الرجل متمكناً ومتحكماً في الترسانة المنهجية للحدائثة، بشكل يجعلك تعدل عن رأيك. ولو قلت عنه عقليا، لاضطرت للعدول عن رأيك وأنت تقرأ له " الظاهرة القرآنية " لاكتشفت ظاهرية أبي داوود في احترامه للنص... وربما الوصف الوحيد الذي يمكن أن يخلع عليه هو: عالم مسلم مثل بالأنسنة أو تجسدت فيه الأنسنة. سنة 1905م تشهد على ولادة ثلاث عبقریات: فأما الأولى فكانت في الفيزياء النووية دشنها (آينشتاين)، وأما الثانية فكانت في الفلسفة، شهدت ولادة فيلسوف الوجودية سارتر. والثالثة كانت من مهندس كهربائي، وهو المفكر الجزائري مالك بن

والثانون يتهموني بترع كل صبغة تاريخية عن القرآن أو بمحاولة حمايته ووضع في منأى عن التاريخية!... لم يحاول أحد أن يفهم جيدا ما أريد قوله. ينظر: قضايا في نقد العقل الديني - كيف نفهم الإسلام اليوم؟، ص186 .

¹ - قضايا في نقد العقل الديني - كيف نفهم الإسلام اليوم؟، ص186 .

² - محمد بابا عمي، مالك بن نبي واستشراف المستقبل "من شروط النهضة إلى الميلاد الجديد"، بحوث الملتقى الدولي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م، ج1 ص212، بتصرف .



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دواب

نبي.¹ الذي ولد في الفاتح من جانفي 1905م بمدينة قسنطينة.² وتوفي ابن نبي والجزائر تحتفل بالذكرى التاسعة عشرة للثورة، وصادف تسليم روحه لبارئها إطلاق أول طلقة من المدفعية في منتصف الليل في 31 أكتوبر 1973م، يوم الأربعاء.³ مات في بيته الكائن بشارع فرانكلين روزفلت بالجزائر العاصمة.⁴

- مؤلفاته: تميز مالك بن نبي بثقافة منهجية، استطاع بواسطتها أن يضع يده على أهم قضايا العالم فألف سلسلة كتب تحت عنوان "مشكلات الحضارة" بدأها بباريس ثم تابعت حلقاتها في مصر فالجزائر، على شكل كتب ومقالات ومحاضرات ودفاتر، ومنها سمعية بصرية، صدر جلها في حياته.

ب - التكوين العلمي والثقافي المزدوج لمالك:

إن المفكر نهل منذ الطفولة من ثقافة مزدوجة: عربية إسلامية، وفرنسية غربية، إذ دخل الكتاب بالمدرسة القرآنية، كما تعلم بالمدرسة الفرنسية الرسمية، وواصل مشواره التعليمي على هذا النحو.⁵ يقول محمد عبد الله دراز (أستاذ في الأزهر الشريف): "لقد تأملت بنضج، ذلك الاتصال بالعقل والتراث، بالعلم والعقيدة؛ وأفرغت في عرض جميل

¹ - خالص جلي، مالك بن نبي واستشراف المستقبل - من شروط النهضة إلى الميلاد الجديد، ج1 ص47 .

² - ينظر : إلى مؤلفات مالك بن نبي، وموقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة .

³ - نور الدين مسعودان، مالك بن نبي حياة وآثار شهادات ومواقف، دار النون، بدون رقم الطبعة والسنة، ص57.

⁴ - الصحفي عبد الناصر، جريدة الشروق اليومي 05 مارس 2013م، مقال تحت عنوان: ألا يستحق رجل مثل هذا العملاق التفاتة حقيقية؟ حوار مع ابنة شقيقة مالك بن نبي الحاجة زينب مسقاجي.

⁵ - محمد سعيد مولاي، مالك بن نبي واستشراف المستقبل، ج1 ص62 - 64، بتصرف.



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دواب

واضح ومتماسك شرارة ما تفجر من ذلك اللقاء. فسداد حكمك، وحرارة عقيدتك، وحدائنة مصطلحاتك، وجمال أسلوبك؛ هذه كلها ميزات بارزة لا أستطيع أن أفيك ما تستحق من تهنئة عليها. ¹ كما يلاحظ منذ القرن التاسع عشر ظاهرة ولوج الكتاب المسلمين غير المتخصصين في الدراسات الإسلامية يتدخلون بسهولة في الدراسات القرآنية ويكتبون عنها كتباً تحظى بنجاح كبير في المكتبات. فمثلاً كان المهندس الجزائري مالك بن نبي قد فرض نفسه في النصف الأول من القرن العشرين بصفته مفكراً مسلماً كبيراً. ² وكذلك محمد شحرور، الذي لاقى شهرة واسعة أيضاً بتأليفه " الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة ".

3 - الجذور التاريخية للأزمة من منظور مالك

يقول ابن نبي: إن الأفكار الميتة- التي خلفها لنا مجتمع ما بعد الموحدين- تبدو أشد فتكاً. من الأمراض المعدية. ومن أجل أن نقتنع بهذه الحقيقة ينبغي أن نلقي بنظرة على الميزانية التاريخية للأفكار التي قتلت مجتمع ما بعد الموحدين، والتي تشكل أيضاً (الدأيون) التي تخلفت عن عصر نهضة المجتمع الإسلامي، وهو لم يتخلص منها بعد على ما يبدو. ³

4 - الهدف من تأليف كتاب الظاهرة

¹ - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر - دمشق، الطبعة الخامسة 2000م، ص11.

² - الظاهرة القرآنية، ص14، بتصرف.

³ - مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، ترجمة: بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر - دمشق، 2002م، ص148.



الصراع المعرفي وتحليلاته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دواب

الهدف الجوهرى من تأليفه، إيقاظ ضمير الأمة، مع هذا هناك فوائد أخرى: فإذا استطاعت نشرة من هذا النوع أن تخدم بوصفها علاجاً للتشكك الدينى فتلك زيادة فى الخير، وإنما يبقى الهدف الأساسى قبل كل شيء محاربة اللامبالاة حول مسألة (الحقيقة العلوية).¹

5 - شهادات حول كتاب الظاهرة القرآنية

- يقول عبد الله دراز: " فعساك تجد أعظم ثوابك فى ذلك النجاح المعنوى الذى يستحقه كتابك. وعسى نداؤك المنطقى والشاعرى الذى أطلقته ليلامس أصحاب العقول النبيرة، يتسرب إلى عميق نفوسهم فيبعث فيهم من جديد حياة القلب والعقل معاً."²

- شهادة محمود محمد شاكر: " هذا كتاب وكفى، فليس عدلاً أن أقدم كتاباً هو يقدم نفسه إلى قارئه. وبحسب أخى الأستاذ مالك بن نبي وبحسب كتابه أن يشار إليه، وإنه لعسير أن أقدم كتاباً هو نهج مستقل، أحسبه لم يسبقه كتاب مثله من قبل. وهو منهج متكامل يفسره تطبيق أصوله وكما يفسره حرص قارئه على تأمل مناحيه. "3 أمّا أركون فكانت شهادته مخالفة لسابقه، حيث يقول: "إصدار كتاب سطحى جداً يدعى: الظاهرة القرآنية. وهو كتاب لا يزال يُقرأ بشكل واسع ويُعلّق عليه حتى الآن."⁴

¹ - الظاهرة القرآنية، ص12.

² - المصدر نفسه، ص15.

³ - الظاهرة القرآنية، ص17.

⁴ - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الدينى، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة - بيروت، الطبعة الثانية 2005م، ص15.



6 - منهج ابن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية

فبالإضافة إلى أسلوب مالك الفني في الكتابة، وطريقته التسلسلية الرائعة في عرض الأشياء، من خلال أفكاره الممنهجة: " هناك الاهتمام بتحقيق منهج تحليلي في دراسة الظاهرة القرآنية، وهو منهج يحقق من الناحية العملية هدفاً مزدوجاً هو:

أ - أنه يتيح للشباب المسلم فرصة التأمل الناضج في الدين.

ب - وأنه يقترح إصلاحاً مناسباً للمنهج القديم في تفسير القرآن.¹

7- الوحي (جبريل عليه السلام، القرآن الكريم)

في هذه الفترة بالذات من حياة ابن نبي كانت الكتابات الغربية ومن سار في فلكتها، بدأت تلمح ولو في استحياء إلى مصدر القرآن: " إن المسألة هي في البحث عن المصدر الحقيقي للقرآن. وأن نعرف ما إذا كان يمكن أن يكون هذا الكتاب قد استخرج من علم أو إدراك من أرسل به. أو من معرفة بشرية على وجه العموم.² وبالرغم من أن هذه الدراسات تطعن في المصدر الإلهي، عكس الكتب السماوية الأخرى. ورغم توافق عبد الله دراز مع ابن نبي في مصدر القرآن العلوي، فإنما يختلفان، عندما اعتمد ابن نبي في تأصيله على المصادر الغربية، دون الرجوع إلى المصادر الإسلامية، وربما غرض مالك من ذلك، من باب وشهد شاهد من أهلها. يقول عبد الله دراز: " يبدو لي أنك أخذت بتأكيدات بعض المستشرقين، قبلت بدون صعوبة افتراضهم حول مدة اعتكاف النبي قبل نزول الوحي. فنحن نعلم موضوعهم المفضل في هذا الإطار. إنه يرتكز على القول إنها

¹ - الظاهرة السابق، ص53.

² - الظاهرة القرآنية، ص9-10 .



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دوب

فترة احتضان وتخمر للأفكار الدينية التي سبقت وضوح القرآن في الوعي المحمدي.¹ مما قد يؤدي إلى شبهة أن القرآن الكريم ألفه محمد ﷺ، وهذا احتراز مقبول من دراز. مرة أخرى يقع التنازع المعرفي بين دراز وابن نبي. على الرغم من الجهد الذي بذله مالك في تفنيد ورفض فكرة الاعتكاف هذه. ينتقده دراز بقوله: "فإنك تبدو مع ذلك قد أفسحت المجال لوجود خلفية وسند مادي لها، أعني بذلك انطواء الرسول لمدة خمسة عشر عاماً. إن فرضية غياب كهذا، ليست فحسب مجانية لا سند لها، بل إنها غير صحيحة على الإطلاق من الوجهة التاريخية."²

ولم يكتف دراز بهذا، بل استدل بالدليل، معضداً رأيه على خطأ فكرة ابن نبي: "المصادر الوثيقة جداً تحدد في الواقع تاريخ هذا الاعتكاف بالضبط بشهر قبل نزول القرآن. كما تحدد بدقة أكثر هذا الشهر تخللته عودة إلى منزله مرات عدة كيما يتزود. وقد سبقت هذا الشهر أيضاً رؤى واضحة كان يراها الرسول في منامه ثم ما يلبث أن يجدها حقيقة كفلق الصبح."³ وكأن دراز يشير إلى حديث عائشة 1 المشهور، في بدء الوحي.

وبالرغم من الدراسات التي طالت القرآن وخاصة من المعرضين، فإنه: "امتاز بميزة فريدة هي أنه تنقل منذ أربعة عشر قرناً، دون أن يتعرض لأدنى تحريف أو ريب،"⁴

1 - المصدر نفسه، ص 13 .

2 - المصدر نفسه، ص 14 .

3 - المصدر نفسه، ص 14 .

4 - يقول ابن نبي: لا نستطيع أن نغفل أهمية فحص الوثائق المدونة أو التاريخية، التي يمكن أن تلقي ضوءاً على الظاهرة القرآنية. وعلى أن هذه المشكلة التاريخية قد حلت بالنسبة للإسلام بصفة استثنائية:



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دوب

وليسست هذه حال العهد القديم (التوراة)، الذي لم تعترف له بالصحة الدراسة النقدية للشرح المحدثين، فيما عدا واحداً من كتبه هو كتاب (أرمياء)... وليس العهد الجديد (الإنجيل) بأسعد حالاً، فقد ألغى مجمع أساقفة (نيقية) كثيراً من أخباره، مما زرع الشك حول ما تبقى منه... وعلى هذا فإن شكوكاً كثيرة تحوم حول القضية التاريخية للوثائق اليهودية والمسيحية.¹ على عكس ذلك، بالنسبة للقرآن: توافق واقع التاريخ مع هذه الآية القرآنية {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} الحجر9، ومع ذلك فإن لهذا (الحفظ) تاريخه: " فكلما كان الوحي يتزل، كانت آيات القرآن تثبت في ذاكرة الرسول ﷺ وصحابته (ؓ)، وتسجل فوراً بأيدي أمناء الوحي، فقد كانوا يستخدمون من أجل ذلك كل ما يصلح للكتابة كعظام الكتف أو قطع الجلد... الخ".²

فهو على هذا الكتاب الديني الوحيد الذي يتمتع بامتياز الصحة التي لا جدال فيها، لأنه لم يثر النقد أية مشكلة حوله، سواء أكان ذلك شكلاً أم موضوعاً.³ وتدوين القرآن في حياة الرسول ﷺ، وما كان من متابعة ومراجعة شديدة من صحابته منذ البداية، يشهد لها التاريخ على عكس الكتب السماوية الأخرى التي دوت بعد مرور قرون من نزولها مما يستدعي الريية في صحتها، وهذا ماخاطب به مالك المشككين، بقوله: " حتى إذا قبض رسول الله ﷺ كان القرآن محفوظاً في الصدور،

فهو الوحيد من بين جميع الأديان الذي ثبتت مصادره منذ البداية، وعلى الأقل فيما يختص بالقرآن.

الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ص103.

¹ - المصدر نفسه، ص103.

² - المصدر نفسه، ص105.

³ - المصدر نفسه، ص106.



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دواب

ومدوناً في الصحف، فكان من الممكن كلما دعت الحاجة لموازنة الآيات بعضها ببعض، ولا سيما حين يعرض اختلاف من نوع صوتي أو لهجي.¹ فقد اختار الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لجنة يرأسها زيد بن ثابت، الذي كان أميناً للوحي على عهد الرسول، وكتب القرآن منظماً لأول مرة.² ويبدو أن زيدا أحجم أولاً عن القيام بهذه المهمة لأمرين³: أولهما: أنه لا يريد بوصفه صحابياً أن يقوم بمحاولة لم يقم بها النبي، أو يأمر بها. وثانيهما: أنه بوصفه مؤمناً يتحاشى مثل هذا العمل، لأنه يخشى مقدماً أبسط الأخطاء المتوقعة في تنفيذ مهمته، وعلى الرغم من هذا فقد تمت هذه المهمة بفضل الجهود المتعاونة الواعية لأعضاء اللجنة.

ونظراً للظروف التاريخية المعروفة، وهذا أمر طبيعي أن المجتمع في نموه وتطوره لا بد من آليات وقوانين تضبط ذلك، وهنا الأمر كان يتعلق بكتاب الله "فاختيرت لجنة ثانية على رأسها زيد أيضاً، وكلفت بأداء هذه المهمة الجديدة، وكان عليها هذه المرة أن تثبت النص القرآني نهائياً في لغة واحدة، حتى لا يتسبب تنوع اللهجات في إحداث الشقاق والتدابير في المجتمع الإسلامي، وأتمت اللجنة عملها عام 25هـ.⁴

8- الحركة النبوية (أرمياء عليه السلام، النبي صلى الله عليه وسلم)

1 - الظاهرة القرآنية، ص 104 .

2 - المقصود هنا أن الكتابة المنظمة للقرآن لم تحدث إلا على عهد أبي بكر، أما ترتيب الآيات والسور فقد كان توفيقاً من جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم حين كان يعارضه بالقرآن وخاصة بعد حجة الوداع. (المترجم).

3 - المصدر نفسه، ص 104.

4 - المصدر نفسه، ص 105 .



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصور وأ. د رايح دوب

يبدأ مالك بسرد آراء علماء، اعتمدوا على نظرياتهم لفهم ظاهرة الحركة النبوية، وهذه النظريات التي تحاول فهم هذه الظاهرة وامتدادها عبر التاريخ" في ضوء تفسير تاريخي مجرد، تبعاً لمنهج (ديكارت) الذي يرجع كل شيء إلى معيار أرضي.¹ كذلك قرر شوريه Shurrè مؤلف كتاب "كبار الواصلين" Grands Initiés² أن الفكرة الدينية ظلت سراً تحفظه صدور بعض أولئك الواصلين، يكشفه بعضهم لبعض، من جيل إلى جيل، بواسطة انكشاف باطني، تضل ذكراه مع ما يحتوي من سرية في أعماق التاريخ.³ إن الفكرة التي أرادوا بها تبسيط مفهوم هذه الظاهرة، في حقيقة الأمر زادوها ضبابية أكثر على غموضها السالف، وهم يدعون مع ذلك أنهم إنما أرادوا توضيح أركانها. لأن المنهج الذي يُتناول به العلم غير المنهج الذي يتناول به الدين.

ومن المعلوم بناء على وجهة نظر هيجل - التي تعتمد على ملاحظة الظواهر - أننا إذا وجدنا حالة نبوية خاصة لا تفسر شيئاً ولا تثبت، فإن تكررها في ظل بعض الشروط يبرهن على الوجود العام للظاهرة بطريقة علمية، ويبقى علينا أن نبحث في ماهية هذا التكرار لكي نستخلص من صفاته الخاصة القانون العام الذي يمكن أن يسيطر على الظاهرة في جملتها.⁴ ولهذا فإن معرفة النبي الظاهرة أساس لأية دراسة نقدية للموضوع،

¹ - المصدر نفسه، ص 85 . بتصرف.

² - لم يعبأ شوريه في نظريته هذه بالتفسير التاريخي للسلسلة التي تربط مثلاً حدثين مختلفين تماماً، كالبودية والإسلام، ولم يعبأ أيضاً بأن يعرض علينا في هذه الحالة القاسم المشترك الذي كان من المفروض أن يعكسه ضمير بوذا من ناحية، وضمير بدوي كمحمد ﷺ من ناحية أخرى. الظاهرة القرآنية، ص 85 .

³ - الظاهرة القرآنية، ص 85 .

⁴ - المصدر نفسه، ص 87 .



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصوري وأ. د رايح دوب

فيونس وأرمياء ومحمد π أفراد أرادوا أولاً أن يتملصوا طواعية من دعوة النبوة فقاوموا، ولكن دعوتهم استولت عليهم أخيراً، فمقاومتهم تدل على التعارض بين اختيارهم والحتمية التي تطوق إرادتهم، وتتسلط على ذواتهم، وفي هذه الدلائل قرينة قوية للنظرية الموضوعية عن الحركة النبوية.¹ وهذا ما حاول النبي محمد ﷺ التأكيد منه، وأنه ليس به مس أو أي عارض خارجي، بل هو اختيار واصطفاء تم له، والنبوة ليست رياضة أو كسب يصل إليه من رام ذلك. "ومع ذلك فإذا لم يكن هناك مجال للحديث بعد محمد ﷺ عن الحركة النبوية بمعنى الكلمة في التاريخ الديني للإنسانية، فقد استمرت حركة ادعاء النبوة في الظهور في جميع العصور وفي كل مكان تقريباً.² ولكنها لم تنجح لأنها لم تكن في حقيقة الأمر

إلا كذب ودجل.

أ- الظاهرة النفسية عند أرمياء:

النبي أرمياء يرسم بطريقة ما الخطوط الداخلية لذاته، ونحن نجد في وصفه هذا ثلاثة عناصر مترتبة متميزة:

- أولها: الاحتراق العميق لمشاعره المضطربة، من جراء الاستهزاء الذي يلقاه.
- وثانيهما: إرادته أن يتخلص من دعوته، بامتناع ناتج عن تأمل وإعمال فكر.
- وثالثها: عنصر ثابت يبدو أنه يطبع هذه الحالة النفسية كلها، ويطوق إرادة

¹ - المصدر نفسه، ص 92 .

² - المصدر نفسه، ص 94 .



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصور وأ. د رابح دوب

ذات النبي، وهو الذي يشير إليه ما يجده في قلبه (كالنار المضطربة). هذا العنصر الأخير هو الذي نعده العنصر الجوهرى في الحالة الداخلية للنبي.¹ لأنه يأتي بشيء جديد غير مألوف.

ب - الرسول:

بعد دراسة الظاهرة النفسية عند أرمياء الآن نشاهد " الظاهرة المرتبطة في الواقع بذات محمد ﷺ، ولكي نخرج بنتيجة عن طبيعة هذا الارتباط لا بد أن نخطو خطوة أولى لنضع مقياساً أولاً مدعماً بكل العناصر الخاصة بتجلية (الذات)، التي هي موضوع القضية وشاهدها وقاضيتها."²

فإن ذكاء عقله، وإخلاص قلبه يجب ألا يثيرا أو يحملا أدنى شك، كيما يمكن استخدامهما كعنصر تاريخي جوهرى في المشكلة.³ وهذا بشهادة الجميع عبر القرون، هذه الملاحظة أساسية لدراسة الظاهرة القرآنية بالنسبة للذات الحمديّة كما تصورها لنا في الواقع تفاصيل التاريخ.⁴

ولكننا لا نرى من الضروري أن نعلق في متحف جد غني صورة جديدة للنبي، فإن لدى القارئ

مندوحة ليطلع على المؤلفات العديدة في سيرته، إذا هو أراد أن يشبع رغبته في معرفة الصورة الباهرة لهذا الإنسان، سواء في تلك المؤلفات التقليدية كابن إسحاق...

¹ - الظاهرة القرآنية، ص 95 . بتصرف.

² - المصدر نفسه، ص 108 .

³ - المصدر نفسه، ص 108 .

⁴ - المصدر نفسه، ص 122 .



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصوري وأ. د رابح دوب

أم في دراسات تراجم الرجال التي أخرجتها المطابع الحديثة¹ وها هو ذا الليل يخيم على عزلته في غار حراء، حتى إذا نام أحس بحركة في لا شعوره توقظه، إنه يشعر بحضوره وهو يلمح أمام عينيه الآن رجلاً متوشحاً بلباسه الأبيض. إن الجهول يقترب منه ثم يخاطبه قائلاً: ((اقرأ)). .. كانت هذه الآية بالنسبة للنبي، وللتاريخ المرة الأولى التي تظهر فيها (الظاهرة القرآنية) التي ستضم بين دفتيها الثلاثة والعشرين عاماً الأخيرة من حياة النبي.²

ومن هذه اللحظة أصبح لدى النبي الأمي شعور ((بأن كتاباً قد طبع في قلبه))³ ولكن لم يكن له أن يتصفح كما يشاء، ولا أن يطلع عليه كما يهوى، إذ أنه سيوحى إليه كلما دعت حاجة الرسالة.⁴ ولكن صوت حراء يرن فجأة في أذني النائم فيهب كأنما مسته الحمى... { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكْبِيرٌ } المدثر 1-3... لقد وجدته خديجة جالساً، غارقاً في تأملاته، فدفعته الدهشة من استيقاظه إلى أن تسأله: ((لم لا تنام يا أبا القاسم))؟⁵

فيحييها ﷺ: « انتهى يا خديجة عهد النوم والراحة، فقد أمرني جبريل أن أنذر الناس، وأن أدعوهم إلى عبادته، فمن ذا أدعو؟ ومن ذا يستجيب؟ »... أمام هذا

¹ - الظاهرة القرآنية، ص 109. بتصرف.

² - المصدر نفسه، ص 125-126.

³ - السيرة الحلبية، ج 1 ص 328 نص يوهم بهذا المعنى ((فكأنما كتب في قلبي كتاباً)).

⁴ - المصدر السابق، ص 126.

⁵ - الظاهرة القرآنية، ص 127.



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دوب

التكليف غير المتوقع، الذي تلقاه في صورة أمر، يسجل في نظرنا حالتين نفسيتين¹ ضروريتين خاصة لدراسة الظاهرة القرآنية بالنسبة للذات الحمديّة.²

- **اقتناعه الشخصي:** جعل مالك في هذه الدراسة مقياسين يستطيع من خلالهما تمييز قناعة النبي ﷺ الشخصية، وهي المقياس الظاهري، والمقياس العقلي، فجنده وكأنه معاتباً الكتاب المحدثين على تقصيرهم: "لم يأخذوا في اعتبارهم - أثناء تحليلهم للظاهرة القرآنية - حقيقة نفسية جوهرية هي: اقتناع النبي الشخصي. ومع ذلك فمن الواضح أن انفراد النبي بكونه الشاهد الوحيد المباشر على الظاهرة، يخلع على هذه الحقيقة قيمة استثنائية خاصة."³

ونظراً لعدم التزام هؤلاء الكتاب في دراساتهم بالموضوعية والصرامة العلمية، وقعوا في تناقض مزدوج: "فهي من ناحية تعد الوحي ظاهرة ذاتية، قولاً واحداً، ومن ناحية أخرى لا تتلقى على هذه الظاهرة شهادة الذات المقترنة بها اقتراناً تاماً."⁴ ولاشك أن الأحداث التي عاشها النبي قد شددت انتباهه وفكره لهذه الظاهرة الجديدة، ومن هنا: "كان النبي بحاجة إلى التثبت من مقياسين يدعم بهما اقتناعه:

¹ - الأزمة النفسية الأولى: الوحي الأوّل الذي رويناه وانتظر النبي زمناً طويلاً، أكثر من عامين وقبل أن يرى للمرة الثانية زائر الغريب ويسمع صوته. لقد ينس منه، وأخذ الشك يستولي مرة أخرى على نفسه التوافق إلى اليقين، فهو يعتقد أنه إما أن يكون قد خدع في جوارحه، وإما أن القدرة قد تخلت عنه، تلك التي اعتقد حيناً أنها هي التي تقوده. ينظر: ص 126 من الظاهرة القرآنية.

² - الظاهرة القرآنية، ص 128 .

³ - المصدر نفسه، ص 147-148 .

⁴ - المصدر نفسه، ص 148 .



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دواب

(أ) مقياس ظاهري للتحقق من وقوع الظاهرة.

(ب) مقياس عقلي لمناقشتها وتسويغها.¹

وبعدها التثبت عن طريق هذين المقياسين، "أشرفت أسارير النبي، إذ هو يملك منذ الآن البرهان² الأدبي والعقلي على أن الوحي لا يصدر عن ذاته³ وسيتابع الوحي نزوله بسور القرآن سورة سورة، فتتراحم في وعيه الحقائق التاريخية والكونية والاجتماعية، التي لم يسبق أن سجلت في صفحة معارفه، بل حتى في معارف عصره، ومناحي اهتمامه. هذه الحقائق ليست مجرد تعميمات غامضة، ولكنها معلومات محددة تضم تفاصيل هامة عن تاريخ الوجدانية.⁴

محمد الإنسان والنبي : فنحن إذن أمام فكرتين تتمثلان في نظر النبي بقيمتين مختلفتين: "الفكرة الشخصية التي تنبعث من معرفته البشرية، كما جاء في قوله تعالى: {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ} محمد الآية 30. وفكرة الوحي القرآني المتزل عليه، {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ} طه الآية 114. فالعبارة القرآنية لها نسق وجرس تعرفه الأذن، ولها هيئة تركيبية وألفاظ خاصة.⁵

¹ - المصدر نفسه، ص 149 .

² - إن علم الدراسات الإسلامية الذي يتناول هذه الدراسات في عمومها بفكر مغرض، لم يعالج مشكلة هذا الافتناع الشخصي، على الرغم من أنها في المقام الأول من الأهمية لتفهم الظاهرة القرآنية، إذ هو يمثل مفتاح المشكلة القرآنية حين نضعها على البساط النفسي للذات المحمدية. الظاهرة القرآنية، ص 160 .

³ - المصدر نفسه، ص 156 .

⁴ - الظاهرة القرآنية، ص 157 .

⁵ - المصدر نفسه، ص 168-172. بتصرف.



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رايح دواب

9- الاستشراق (صراع، توافق)

يقول محمد عبد الله دراز: " فالقرآن لم يعلن فحسب بأن الإيمان لا يفرض من الخارج، ولكنه أدان بقوة كل إتباع أعمى يلقي بزمامه إلى سلطة لا تستند إلى العقل. وقد دعا دائماً باستمرار إلى التأمل الفردي المنسحب من تأثير الوسط الخارجي والأفكار المسبقة."¹ وديكارت: " لم يفعل غير ذلك، حينما رفض أسلوب الهيمنة، مطالباً بحق العقل، مؤكداً واجب كل امرئ بالألا يأخذ بغير الثابت والبديهي الذي لا مرأى فيه."² وقد سبقه القرآن في ذلك: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} البقرة 256. وأيضاً الآية: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} المائدة 104. مع أن القرآن يلزم أكثر بالصرامة المنهجية.

ويرجع مالك سبب توغل وحدث ارتجاج ثقافي في المجال الديني إلى الطلبة العرب الذين درسوا في الغرب، ويلاحظ ذلك من خلال قوله: "وربما أمكننا أن ندرك ذلك إذا لاحظنا عدد رسالات الدكتوراه، وطبيعة هذه الرسالات التي يقدمها الطلبة السوريون والمصريون كل عام إلى جامعة باريس وحدها، وفي هذه الرسالات كلها يصيرون — وهم أساتذة الثقافة العربية في الغد وبعثو نهضة الإسلام — كما أوجبوا على أنفسهم، على ترديد الأفكار التي زكاهها أساتذتهم الغربيون."³

¹ - المصدر نفسه، ص 12 .

² - المصدر نفسه، ص 12 .

³ - الظاهرة القرآنية، هامش ص 73 .



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دواب

كما نرى أحيانا أن الظروف تجعل جيلا بأكمله يدين لجلاديه، فمالك يعترف بأن: " الجيل المسلم الذي ينتسب إليه يدين إلى هؤلاء المستشرقين الغربيين بالوسيلة التي كانت بين يديه لمواجهة مركب النقص الذي اعترض الضمير الإسلامي أمام ظاهرة الحضارة الغربية."¹ وبرغم هذا الاعتراف فمالك يحدد موقفه من إنتاج المستشرقين دون عقدة نقص أو الشعور بالمديونية الثقافية تجاهه: "لا يجوز نكران قيمته العلمية، بل نراه أحيانا يستحق كل التقدير لما يتسم — في بعض أصنافه مثل ما خلفه سيديبو أو جوستاف لوبون أو آسين بلاثيوس — بالإضافة إلى طابعه العلمي، بطابع أخلاقي ممتاز لا يمكن نكرانه كشهادة نزيهة من طرف شهود نعرف قيمتهم كعلماء."²

- الصراع بين مالك والمستشرقين: هناك مذهبان: (المذهب المادي والمذهب الغيبي). فالمذهب المادي: ... أن يتابع العرض ابتداء من العهد الحيوي (البيولوجي) في تطور المادة. أي من التطور الذي صورناه في حدود المعادلة: مؤثرات حرارية ديناميكية + عوامل كيميائية = مادة حية.³ ويضرب مالك مثلا على ضعف المذهب المادي بعدما استرسل في الاستدلال على خواتمه: وعلى هذا ففي كلتا الحالتين لا يجد جدول (مانديف) تفسيراً كافياً في نظر المبدأ الذي نسلم به، وهذا يثبت ضعف المذهب المادي.⁴

¹ - مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين - وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد للطباعة والنشر

والتوزيع - بيروت، ص 8.

² - المصدر نفسه، ص 42.

³ - المصدر نفسه، هامش ص 73.

⁴ - الظاهرة القرآنية، ص 75.



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دواب

أمّا المذهب الغيبي (أي الميتافيزيقي) من الضروري هنا أن يُفرض مبدأ متميز عن المادة، فالله خالق ومدبر للكون، وسبب أول ينبثق عنه كل موجود،...¹ وقوة المذهب الغيبي: ... وهذه الحتمية الغيبية (الميتافيزيقية) تسعفنا حين تعجز القوانين الطبيعية عن إعطاء تفسير واضح للظواهر. وبذلك ينتج عنها مذهب كامل متسق متجانس لا نقص فيه ولا تعارض، مما لزم المذهب المادي.²

ويذهب مالك في طرحه بعيداً عندما يبنه على الفروق الجوهرية، حيث يقول: "ولا يغيين عن نظرنا أن الأمر لا يتعلق هنا- كما سبقت الملاحظة - بالموازنة بين نوعين من العلم، بل بين عقيدتين: عقيدة تؤله المادة، وأخرى ترجع كل شيء إلى الله تعالى."³

10- الإعجاز القرآني

تم إدراك إعجاز القرآن منذ القديم، وخاصة عندما حاول العلماء تفسيره وتأويله، وهم ينظرون في محتواه: "قد رأوا في اتساع وعمق المعرفة التي يحملها للإنسانية، دليلاً في ذاته على خصائصه التي تتجاوز طاقة البشر."⁴ ثم تغيرت هذه الظروف مع تطورات التاريخ الإسلامي، وفاض طوفان العلوم في أواخر عهد بني أمية والعهد العباسي. فصار إدراك جانب الإعجاز في: "القرآن بالمعنى الذي من طريق التذوق العلمي، أكثر من أن يكون من طريق التذوق الفطري."⁵ وهذا يعني أن الإعجاز كما أدركته العرب وقت

1 - المصدر نفسه، ص 79 .

2 - المصدر نفسه، ص 79 .

3 - المصدر نفسه، ص 80 .

4 - المصدر نفسه، ص 10 . بتصرف.

5 - المصدر نفسه، ص 61 - 62 .



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دوب

التزول، أصبح من اختصاص طائفة قليلة من المسلمين، بيدها وسائل التدوق العلمي... حتى إذا تقدم الزمن وتغيرت الظروف الاجتماعية، وتقدمت العلوم، صار الإعجاز موضوع دراسة قائم بذاته، فكتب فيه أئمة البيان، من أمثال الجاحظ في كتابه (نظم القرآن) وعبد القاهر صاحب (دلائل الإعجاز).¹ وحاصل هذا أننا إذا عدنا الأشياء في حدود الحدث المتكرر، أي في حدود الظاهرة، فالإعجاز هو: " — بالنسبة إلى شخص الرسول: الحجة التي يقدمها لخصومه ليعجزهم بها. — وهو بالنسبة إلى الدين: وسيلة من وسائل تبليغه."²

حقيقة التنازع الصراع بين الدين والعلم وعجز هذا الأخير عن فهم مجاله، ناهيك عن الظاهرة الدينية: "إن عصور الاضطرابات الاجتماعية، والاختلال الروحي هي وحدها التي تخلق الصراع بين الدين والعلم."³ وذلك منذ الاستكشافات الأخيرة لعلم الفلك فطن العلم إلى نطاقه المنتهي المحدود؛ وفيما وراء السديميات السحيقة في البعد، وراء ملايين السنين الضوئية، وربما ملياراتها، تمتد الهاوية التي لا قرار لها، إلى اللانهاية التي يستحيل الوصول إليها، أو حتى إدراكها بالنسبة للفكر العلمي، إذ لا يجد هذا التفكير موضوعه الخاص وهو: "الكم والعلاقة والحالة. فأى كم؟ وأية علاقة؟ وأية حالة؟"⁴ ويبقى العلم في خدمة الدين، ومقابل أن يكون الدين موجها للعلم، وهكذا لا يكون تنازع بينهما.

¹ - الظاهرة القرآنية، ص 62 .

² - المصدر نفسه، ص 64 .

³ - المصدر نفسه، ص 80 .

⁴ - المصدر نفسه، ص 81 .



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دواب

11 - التغيير الذي يريده مالك بن نبي

وسوف نكتفي بإجابة مالك نفسه، فهو صاحب هذه الفكرة التي قال فيها: "لا يجوز لأحد أن يضع الحلول والمناهج، مغفلاً مكان أمتة ومركزها، بل يجب عليه أن تنسجم أفكاره، وعواطفه، وأقواله، وخطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي فيها أمتة."¹ ويقول أيضاً: "لذا يجب أن نبي الذات بتغييرها انطلاقاً من قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} الرعد 11. إذ بامتزاج الدين والروح الدينية والوحي بالنفس، وامتزاج بين الوقت والأرض والتراب والإنسان، تبدأ الحضارة بالانطلاق."² فهو هنا يشير إلى العناصر الثلاثة التي تتكون منها أية حضارة إنسانية. والتغيير والبناء يكون بمزج وإدماج هذه العناصر مع بعضها.

الخاتمة:

الظاهرة القرآنية بوصفها حدثاً يحصل لأول مرة في تاريخ العرب، كأمة غير كتابية، وكظاهرة خالدة في تاريخ البشرية تعد معجزة ولا يزال التحدي قائماً بها، ودور المعرفة في ذلك أن تسعى وتقوم: "بحفر في الجذور بحيث ترد كل انجاز ثقافي إلى تاريخيته. وتحاول تفكيك النظم والمفاهيم ودلالات اللغة ووسائل الاتصال بين الذهن والعالم. فالمعرفة إما أن تحقق في النهاية قطيعة عدمية مع الخلفيات الموروثة وإما أن تعيد توظيفها على نحو معاصر ومن منطلق نقدي وتحليلي - ترتبط دوماً ببناء مشروع

¹ - مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي، دار الفكر - دمشق، 1986م، ص 53.

² - نور الدين مسعودان، مالك بن نبي بقلم معاصريه، دار النون للطباعة والنشر والتوزيع، ص 34 - 35.



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دواب

حضاري في إطار ثقافي عالمي معاصر ودون نزعة أيديولوجية. "1 وهذا الذي أراده مالك بن نبي P. وحاول إثباته للغرب عموماً وللمستشرقين على وجه الخصوص، وأراده أيضاً مع المسلمين عموماً والطبقة المثقفة منهم على وجه الخصوص، على عكس ما أراده: "عقل ما بعد الحداثة فينصاع لإغراء الترفيع الأيديولوجي والترعة النضالية أكثر مما يحاول افتتاح فضاء ابستمولوجي جديد متلائم مع التحديات الملحة للتاريخ البشري وهو يقف على عتبة القرن الحادي والعشرين."2

كما لا يغفل عن دور الموروث الإيماني: "في تحديده لحقيقة الوجود والكون هي الفكرة التي صنعت الحضارة الإسلامية. ولكن يتوقف عملها في الدفع الحضاري على كيفية تحمل المسلمين لها. وقد كان الخلل الذي أصاب الأمة في تحملها لعقيدتها عاملاً حاسماً في انحسارها الحضاري سواء ما آل إليه الأمر من انحراف في التصور أو من سطحية في التحمل الإيماني تراخى بها الدفع الإرادي للعمل الحضاري."3

فمن خلال هذه الدراسة أردنا إبراز مزايا كتاب الظاهرة القرآنية وأهمية المواضيع التي تناولها وطبيعة الصراع الخفي والجلي بين مختلف الآراء والأفكار بين المنظومة الإسلامية وبين المنظومة الاستشراقية ومن تأثر بها. كما يجب على الدارسين متابعة إنتاج

1 - منهجية القرآن المعرفية — أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، ص 37 .

2 - محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني — كيف نفهم الإسلام اليوم؟، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر — بيروت، ص 169.

3 - نشرت مجلة إسلامية المعرفة في عددها الأول مقالاً "دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية"، عبد الحميد النجار. نقلاً من موقع: غوغل، يوم 2018/12/05م، الساعة الواحدة ليلاً.



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصور وأ. د رايح دوب

غير المسلمين في مجال المناهج الحديثة عموماً وفي تراثنا خصوصاً لثمين الدراسات الموضوعية المنصفة، ومقارنة كل ما يسى لتراثنا بالحجة والبرهان.

المصادر والمراجع:

- 1- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر- دمشق، الطبعة الخامسة 2000م.
- 2- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، ترجمة: بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر- دمشق، 2002م.
- 3- مالك بن نبي، شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي، دار الفكر- دمشق.
- 4- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين- وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد - بيروت.
- 5- نور الدين مسعودان، مالك بن نبي حياة وآثار شهادات ومواقف، دار النون، بدون تاريخ طبعة.
- 6- نور الدين مسعودان، مالك بن نبي بقلم معاصريه، دار النون، بدون تاريخ طبعة.
- 7- ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر.
- 8- علي الحلبي، السيرة الحلبية- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية 2005م.
- 9- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى 2008م.



الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دواب

- 10- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- لبنان، 1979م.
- 11- الفيروز آبادي، مكتبة القاموس المحيط، الشروق الدولية - مصر، الطبعة الرابعة 2004م.
- 12- مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية- مصر، 2004م.
- 13- حسن البناء، رسالة العقائد، من مجموعة الرسائل.
- 14- البريكان، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، دار ابن القيم- الرياض، الطبعة الأولى 2003م.
- 15- محمد أبو القاسم، منهجية القرآن المعرفية - أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي - بيروت، الطبعة الأولى 2003م.
- 16- محمد أبو القاسم، أبستمولوجية المعرفة الكونية- إسلامية المعرفة والمنهج، دار الهادي - بيروت، الطبعة الأولى 2004م.
- 17- طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، دار الهادي، الطبعة الأولى 2003م.
- 18- مكي درار، ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، 2012م.
- 19- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني - كيف نفهم الإسلام اليوم؟، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة - بيروت.
- 20- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة - بيروت، الطبعة الثانية 2005م.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

رت م د: 4040-1112، رت م د إ: X204-2588

المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 492-519 تاريخ النشر: 05-08-2020

الصراع المعرفي وتجلياته ----- ط. بولعراس منصورى وأ. د رابح دواب

- الجرائد والمجلات:

الصحفي عبد الناصر، جريدة الشروق اليومي 05 مارس 2013م.

- المنتقيات:

مجموعة من المؤلفين، مالك بن نبي واستشراف المستقبل - من شروط النهضة إلى الميلاد الجديد، بحوث المنتقى الدولي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م.

- المواقع:

موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة .